الأستاذة: فريال تواتي

المادة: السرد السير ذاتي.

الفئة المستهدفة: سنة ثانية ماستر (تخصص أدب حديث ومعاصر).

المحاضرة3: السيرة الذاتية في التراث العربي.

أهداف الدرس: أن يتعرف الطالب على جذور السيرة الذاتية في الأدب العربي القديم.

إن السيرة الذاتية وبغض النظر عن "تقييمها المضموني والفني ومدى جرأتها في تناول الحياة الخاصة بأصحابها"[1]، موجودة في أدبنا العربي القديم، فالمتفحص "للموروث الأدبي العربي قديما، سيجد إرهاصات أولية لهذا الجنس الأدبي"[2]، فرغم ما يقره الكثير من الباحثين والمؤرخون من كون السيرة الذاتية هي لون من الألوان الابداعية الخاصة بالثقافة الغربية، وهو ما يؤكده **شوقي ضيف** الذي يرى بأن السيرة الذاتية "فن مستحدث عند العرب قلدوا فيه غيرهم من الأمم الأجنبية التي قرأوا آثارها، خاصة اليونان"[3]، فرغم هذا التصريح بأسبقية الغرب إلى جنس السيرة الذاتية، إلا أننا نلمح بوادر وجذور تاريخية لجنس السيرة الذاتية في موروثنا العربي القديم.

نجد من أبرز الباحثين الذين يؤكدون ويقرون بوجود السيرة الذاتية في التراث العربي **عبد العزيز شرف** الذي يؤكد أن للسيرة الذاتية إرهاصات في التراث العربي، وذلك من خلال إشاراته التي تمثلت في اعتبار الشعر العربي مصدرا مهما من حيث التعبير عن الذات وخوالجها النفسية يقول: "إن الشعر العربي قد تضمن في أعطافه بذور السيرة الذاتية قبل أن تستقل فن من فنون القول، فظهرت شخصية العربي من شعره، سواء في تجاربه الذاتية أوتجاربهم الموضوعية"[4].

ولعل من أقدم السير الذاتية التي تحدث عنها الباحثين والنقاد نجد سيرة عمارة اليمني، فقد رد **محمد عبد الغني حسن** أقدم السير الذاتية إلى ما كتبه الشاعر: "عمارة اليمني في القرن السادس الهجري وقد تحدث فيه عن نفسه في كتابه النكت العصرية "[5] في أخبار الوزراء المصرية، وقد بدأ **عمارة اليمني** كتابه "بالحديث عن نفسه وعائلته...ودراسته، ثم تجارته وما أصابه فيها من نجاح، وأخيرا أخذ يتحدث عن حياته السياسية وعلاقته بوزراء مصر"[6].

ويذهب بعض الباحثين إلى الاقرار بوجود سيرة ذاتية أسبق من سيرة **عمارة اليمني** وهو ما سجله "المؤيد... في منتصف القرن الخامس، يصور لنا حياة داعية من دعاة الفاطميين"[7] في كتابه سيرة المؤيد داعي الدعاة، على أنه لا يمكن إغفال أن ابن سينا الفيلسوف... قد ترجم لنفسه ترجمة اعتمد عليها تلميذه الجوزاني حين ترجم له"[8]، ومن النماذج القديمة للسير الذاتية نجد سيرة **ابن حزم الأندلسي** في (طوق الحمامة)، الذي يصيب فيها شيئا من سيرته بشئ من التعمق النفسي.

كما نجد معالم السيرة الذاتية اتضحت في "أوساط المثقفين والعلماء الذين انكبوا بشكل لافت يدونون جوانب تتعلق بحيواتهم الشخصية، وقد كان لكل طائفة منهجها الخاص"[9]، ولعل من أبرز الفلاسفة والعلماء الذين تحدثوا عن حياتهم الفلسفية أو العلمية وما ألفوه من مصنفات، نذكر مثلا هنا من تراجم الفلاسفة على سبيل المثال: "ترجمة ابن الهيثم والتي كتبها سنة 417هـ وهي سيرة فلسفية وعيون الأنبياء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة وغيرها"[10]، أما من تراجم العلماء نجد "ترجمة ابن الجوزي في رسالته لفتة الكبد إلى نصيحة الولد التي تحدث فيها عن نفسه في سياق النصح والإرشاد لابنه،...وكذا رسالة أبي حيان التوحيدي المسماة الصداقة والصديق،...كما لا ننسى ترجمة أبي شامة المقدسي الدمشقي"[11]، بالإضافة إلى ترجمة المقري المؤرخ الأندلسي "في الجزء الأول من كتابه (نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب) حيث وصف رحلته من الأندلس إلى المشرق، ولا ننسى

من الرحالة الذين ترجموا لحيواتهم ابن جبير وابن بطوطة"[12]، ومن أبرز رجال الأمة العربية الإسلامية الذين ترجموا لأنفسهم نجد العماد الأصفهاني في تصديره لكتابه البرو الشامي.

إلى جانب ذلك نجد **احسان عباس** يقسم الموروث الأوتوبيوغرافي من حيث الغاية إلى:

"أ-الصنف الإخباري المحض: وهو يضم الحكايات ذات العنصر الشخصي سواء أكانت تسجل تجربة أو خبرا أو مشاهدة، كتلك الحكايات التي يقصها الجاحظ وأبو حيان التوحيدي وغيرهما.

ب-صنف يكتب للتفسير والتعليل والاعتذار والتبرير ومن هذا النوع... سيرة ابن خلدون.

ج-صنف ثالثا يصور الصراع الروحي وهو ملموح في سيرة ابن الهيثم،... وواضح في سيرة المنقذ من الضلال للغزالي الذي يصور جانبا من أزمة روحية تعرض لها الغزالي.

د-صنف يقص قصة المغامرات في الحياة، وما يلاقيه المرء من تجارب،... وأقرب مثال إليها مذكرات أسامة بن منقذ التي سماها كتاب الاعتبار"[13].

ما نستشفه مما تقدم أن للسيرة الذاتية جذور وإرهاصات في تراثنا العربي القديم الذي برزت فيه العديد من النماذج السير الذاتية والتي اختلفت بحسب توجه صاحبها، ومن النماذج العربية القديمة نجد سير خاصة بالعلماء وسير خاصة بالفلاسفة وغيرها من النماذج السير ذاتية العربية القديمة.

الهوامش:

[1]- حفيظة سوالمية، رواية السيرة الذاتية -الرواية العربية الحديثة والمعاصرة أنموذجا-، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2014-2015، ص: 70.

[2]- ساميا بابا، مكون السيرة الذاتية في الرواية حكايتي شرح يطول لحنان الشيخ، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان-الأردن، ط1: 1433هـ-2012م، ص: 46.

[3]– عبد القادر الشاوي، الكتابة والوجود (السيرة الذاتية في المغرب)، أفريقيا الشرق، المغرب، 2000، ص: 21.

[4]– عبد العزيز شرف، أدب السيرة الذاتية، مؤسسة الأهرام للنشر والتوزيع، القاهرة–مصر، 1992، ص: 51.

[5]– محمد عبد الغني حسن، التراجم والسير، دار المعارف، ط3، ص: 24.

[6]– تهاني عبد الفتاح شاكر، السيرة الذاتية في الأدب العربي، دار الفارس للنشر والتوزيع، عمان–الأردن، ط1: 2002، ص: 55.

[7]– محمد عبد الغني حسن، التراجم والسير، ص: 25.

[8]– المرجع نفسه، ص: 25.

[9]– حفيظة سوالمية، رواية السيرة الذاتية –الرواية العربية الحديثة والمعاصرة أنموذجا–،ص: 75.

[10]– المرجع نفسه، ص: 75.

[11]– المرجع نفسه، ص: 75–76.

[12]–المرجع نفسه، ص: 76.

[13]– إحسان عباس، فن السيرة، دار الشروق، عمان –الأردن، ط1: 1996، ص: 114 وما بعدها.